قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم
محمد وهبي

أود اولاً ان انوه بهذا الباب الذي فتحته «الآداب» فعلاوة على انه تجديد طريف ، أرى انه بادرة طيبة ودليل واضح على وعي عميق للرسالة الأدبية، التي قوامها مبدأ حرية الفكر، يستلهمه الأديب سواءً لأنتاجه أم للحكم على إنتاجه . أليس الأدب « صناعة الحرية » على حد تعبير « جان بول سارتر » ؟ ولسوف اغتنم المناسبة في كلمتي هذه، فألوذ بهذا المبدأ لأنتجع فيه العذر حيال ما قد ألقاه من عتب بعض الأصدقاء. ولكي أنجو بذهن القارىء وبقلمي أيضاً مما قد يؤثر في الحرية ويجر الى الانزلاق من اعتبارات اجتماعية ، عَوَّلتُ على الامتناع عن ذكر أسماء الكتّاب ، مكتفياً بالاشارة إلى الموضوعات.

والعدد الماضي من هذه المجلة كان وثبة حقاً . وهنا أبادر فأؤكد أنني لا أقول هذا من قبيل إزجاء الاطراء لمواكبة هذه الكلمة، وإنما هو رأي تكوَّن لديّ قبل أن يصلني التكليف بكتابتها ، وكان حافزي على ان أصدع بالتلبية. فقد حفل هذا العدد بالموضوعات المتصلة بمنهج الأدب الأصيل، ومنهج «الآداب» بالذات ، وأعني به « الالتزام » ، فكان بظهوره بعد وثبات المجلة السابقة ، وثبة جديدة ممتازة في تاريخها الجزل رغم حداثة إشراقه .

فقد حوى العدد من الأدب فنوناً متنوعة . ولو تناولنا منها الأبحاث التي تدخل في باب الابتكار، لاستوقفتنا غير قليل، وذلك أولاً وقبل أي اعتبار ، لانها طرقت موضوعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع حياتنا القومية . فهناك مقال عالج كاتبه تحت عنوان « القوة والحرية » جانباً من موضوع جوهري هام بالنسبة لحياتنا الاجتماعية ، هو موضوع المفاهيم . وعندي انّه موضوع حري بشغل الاذهان وبذل المجهود والعناية ، لانه يتناول الاساس من الكيان القومي. ومعظم علل هذا الكيان، هي في الحقيقة متركزة في الاساس قبل الفروع ، في مدى تمثل المفاهيم العقلية والقيم الانسانية وكيفية التفاعل معها ، قبل ظواهر التصرف والعمل ونحوه . وهناك مقال مشبع بالوعي الاجتماعي وعمق الفكرة دار حول مسألة « التبعة الادبية » ، وابان بشيء كثير من الحذق والتحليل واجب الاديب العربي او العراقي بنوع خاص ، الذي يُعَيِّنه مجتمعه وعصره . والى مثل هذا الغرض نزع بحث «عيش الكفاف في انتاجنا الفكري»، الذي أبرز كاتبه نقص الاخلاص العقلي عند معظم المفكرين العرب، وكيف أن هذا النقص أفقر نتاجهم ونأى به عن الحياة وما فيها من قوة دفع وانبات وإحياء ، كما ترك القارىء العربي في جوع متصل ، بالنظر الى ما لاحظه الكاتب من ارتفاع مستوى المعيشة العقلية في العالم العربي، وهو ما أختلف معه فيه فقط ، لاني أرى انه إذا كانت هناك ناحية نستطيع فيها أن نتحرى درجة هذا المستوى ، فهي النتاج وما يخضع له النتاج عادة من الرواج وإقبال القراء عليه، بل لعل وضع القراء اكثر إنباء في هذا الموضوع ، فان هؤلاء قد يقضون على مؤلف وهو في ذهن صاحبه وقبل أن يذهب إلى الطبع .

وقد أحسنت «الآداب» صنعاً بنشر تلك المحاضرة القيمة عن « التربية العربية » ، لا لانها فقط لعَلَمٍ كبير مشهود بوزنه في عالم الفكر العربي، ولا لما اشتملت عليه من قوة وعمق وإحاطة كذلك ، ولكن لانها استهدفت موضوعاً رئيسياً وحيوياً بالنسبة لحاجة مجتمعنا ، ومن ثم لواجب الانتاج الفكري . فالتربية في الواقع حجر الثقل في ميزان الشعوب ، وهي ما أهملنا شأنه حتى اليوم برغم ما نلناه من استقلال سياسي ، فكان له أبعد الاثر في تصدع كياننا القومي . وعسى أن يجد ما أثاره صاحب هذه المحاضرة من ملاحظات منيرة وما قدمه من مقترحات فعّالة ، الآذان الصاغية والارض الخصبة ، وخصوصاً حين نادى بضرورة تغليب مفهوم التربية على مفهوم التعليم .

فأنت ترى من هذه الابحاث كيف أن قاعدة الالتزام الادبي احتلت مكانتها بين أرجاء العدد الماضي من المجلة . ولم تخلُ من اثر هذه القاعدة بقية الابحاث التي تناولت من الحياة وجوهاً متباينة ، بحيث يضيق المجال بعرضها ، كما تجد بينها ما اثار ذكرى عمر الفاخوري في النفوس، واجتهد الكاتب فيه في ابراز شخصية عمر الانسانية إلى جانب نبذة خاطفة عن ادبه ،

فكان جهده موفقاً ولو اني لم ادرك الحكمة في استعماله لألفاظ عامية او اعجمية على الرغم من وجود ما يؤدي معناها في اللغة الفصحى مثل « التعنفص » و « ماركة » .

ولم تَعدم قاعدة الالتزام مُتنفَّساً رحباً لها في أجواء القصص . فهذه قصة « الدمع المر » عرض فيها الكاتب لوقع فاجعة فلسطين في نفس شاب عربي يقطن باريس ، وأبدع في وصف آلامه، كما وُفق في تبيان أثرها بمواجهته بشخصية اجنبية حيادية ، هي شخصية صديقته الفرنسية ، التي لم تلبث ان دخلت معه في مشادة حادة بسبب عدائها لهتلر عدو اليهود ، كان لها رجع قوي في تأملاته ، كما كان لها فضل الكشف عن اختلاف عميق بين عقليتين متضادتين : العقلية الشرقية التي شأنها الانفعال دائماً والنحيب احياناً ، والتي تبحث عن اسباب عللها وكوارثها في غيرها ، كعقلية هذا الشاب الذي ركز مسؤولية النكبة الفلسطينية في هتلر الذي لم يحق اليهود ، وفي زعمائه وحكامه، ونسي نفسه او روح امته المفككة التي لا شأن لهتلر بمصيرها ، وليست هي باعظم وعياً لمشكلتها ومصلحتها من رؤسائها ، والعقلية الغربية الواقعية التي سي في النقيض تماماً . والخلاصة البارعة التي انتهى اليها الكاتب من هذه المقابلة ، ذات طابع منطقي ومؤثر في آن واحد ، وهي ان على هذا الشاب العربي ان يقتل نفسه القديمة لكي يستطيع ان يولد من جديد . وكل ذلك جاء في قالب مرن واسلوب رشيق لا يعرف الاملال ، ويجعل قراءة القصة متعة محببة . وقد أثرت في نفسي عبارة « شرقي متوحش » التي جرت على لسان تلك الفتاة الفرنسية . وكم أتمنى لو تنقش هذه العبارة في صدر كل عربي ، لا لتثير السخط والاحتجاج ، ولكن لتدفع الى التساؤل والبحث عن الاسباب التي طالما جعلت الغربيين يطلقونها في كثير من المناسبات . وفي القصتين الأخريين اللتين ازدان بهما العدد، تجد صوراً طريفة من الحياة لا ينقصها عمق المغزى ولا طلاوة الأداء .

اما القصائد فقد ضربت بسهم وافر من حيث الكم ، وتمتع بعضها من حيث الكيف والقيمة الأدبية بنصيب لا يستهان به من الابداع والشاعرية . وقد تجلى نبض الحياة في «الدرب» و « انتظار » و « في طريق الحياة » ، ورقيَ أدب الالتزام إلى مراتب فياضة بالتعبير عن روح المجتمع العربي وأزماته في «لعنة على الطغاة » و «على الرصيف» ، وأفعم خصبُ الخيال وعذوبة النفس قصيدة « شجرة القمر » . على ان ما يلفت النظر هو ان بعض القصائد انصبّ على الغزل التقليدي موضوعاً وشكلاً ، وهو ما أرى انه لم يعد يتفق وروح العصر ، ولا مع مهمة الأديب المعاصر ، فالحياة زاخرة بالنواحي الطريفة والمعاني الملهمة مما يحسن بالقرائح العناية به ، كما ان مبدأ الابداع الفني يقضي بالابتعاد عما ألفناه حتى اليوم من الجري على قاعدة التشبيب وخلع الأوصاف الجمالية على المحبوبة او الطبيعة . والشعر بوصفه فناً يبحث عن الجمال، ميدانه « الخاص » وليس « العام »، ولذلك فهو يكون اكثر ارتباطاً بغرضه إذا خرج من مجال الموضوعات العامة الى المواقف الخاصة ، حيث يمكنه التعمق في تحليل النفس وسبر الفكر على ضوء الثقافة المتطورة التي تفرضها الحياة العصرية ومشاكلها ، وحيث يُلفي مادة غزيرة تعينه على التنويع والأصالة في خلق ما يشبه اللوحات الفنية المعبرة عن صميم الحياة بحق .

وقد استوقفني استفتاء « الآداب » في الكتب الأجنبية الواجب نقلها الى اللغة العربية، وهو استفتاء لا يخلو من عمق النظرة ووعي

القرآن الكريم المطبوع في ألمانيا في صفحة واحدة

القرآن بأكمله مكتوب بخط النسخ المشكول وأجزاؤه مقسمة في ثلاثين عاموداً تعلوها الفاتحة
اجازته وأقرته مشيخة المقارئ المصرية

تحفة رائعة نالت تقدير قادة المسلمين فأحلّوه أرفع مكان من مكاتبهم ومساكنهم عنواناً للفلاح والصلاح ومُلهماً للتقوى وجالباً للبركة والرحمة . وهو خير ما تزين به دارك ومكتبك ومدرستك وأحسن ما يتهادى به المسلمون ، فإخراجه وتنسيقه ومظهره يفوق حد التصوّر . وبالإجماع هو تحفة يحرص كل مسلم على اقتنائها

يطلب من المكتبات الكبرى في أنحاء البلاد مقابل :
٧٥٠ قرشاً للنسخ الفاخرة المذهبة في ستة ألوان

ملتزم التوزيع
دار الثقافة بيروت
شارع السور - بناية الفرادي - تلفون ٣٥ ص.ب ٥٤٣

المشاكل الفكرية الدقيقة في المجتمع العربي . فقضية نقل الثقافة الغربية هي اليوم قضية أساسية بالنسبة للفكر العربي ، كما عبر عن ذلك كل من الدكتور شارل مالك والاستاذ سلامه موسى ، وإن ضرورة التطور والخلاص من ضحالة الوضع العقلي في البلاد العربية لتجعل الحاجة الى هذا النقل بالغة الخطورة . ولعل دور النشر قد لمست كيف ان هذه الحاجة أخذت تتبلور عند القارىء العربي في إقباله المتزايد على الكتب المترجمة . على ان طرح هذا الاستفتاء ، وهو أقصى ما يسع مجلة « الآداب » صنعه من هذه الناحية ، جدير باثارة بحث مستفيض ودراسة منظمة، تضطلع بها هيئات رسمية تتوفر على الانصراف الى الموضوع بشكل جدي ، في مقابل تزودها بالامكانيات الواسعة اللازمة للتنفيذ. أضف الى هذا ان الاستفتاء العابر لا يفي بالغرض كما أشار الدكتور مالك في رده ، فقد تأتي الاجابات رجعاً للمزاج الشخصي عند اصحابها ، وليس هذا المزاج بالمحك الصالح الدقيق للحاجة الحقيقية . واعتقد ان واضعي الاستفتاء قد ادركوا هذه الناحية من خطورته وسعة مجاله ، فحددوه بعنصر الاعجاب الشخصي .

ولا بد لي هنا من التنويه باقتراح الدكتور شكري فيصل الذي علق على العدد الرابع ، حين تمنى على إدارة المجلة نشر موضوعات علمية مبسطة ، فأشاطره الاقتراح مع إضافة مادة الفلسفة الى محتواه ، إذ ليس في ذلك ما يضير طابع المجلة او موقف قارئها منها ، لا سيما وان هذه المواد ، والفلسفة منها بنوع خاص ، تدخل ضمن إطار الأدب بمفهومه الواسع . والمطلوب في الواقع ليس عرض الأبحاث المطولة والعويصة ، فغاية الصحافة الأدبية كما أراها ، هي « التشويق » الى القراءة والبحث الجدي اكثر مما هي البحث بالذات .

وأقف عند هذا الحد ولا أطيل ، إذ اخشى موجة السأم ، في حين ان مواد العدد في غزارتها وأهميتها تستأهل الدرس المستفيض ، وتستدرج القلم في غير رأفة بوقت القارىء ، مما يفرض تقديم الثناء والتهنئة الى من أشرفوا على إعداده وجعله زاداً ثميناً .

محمد وهبي

الخلق والوعي الفني

(التتمة من الصفحة ٨)

فنان . وليست حاجة النشر هي الحاجة في ان يرد للآخر ما يخصه، ما اوحى به، ما فعله هو نفسه. وانما النشر انجاز وجود الأثر بالوسيلة الوحيدة المعقولة: ادخاله في الملك المشترك للوعي والحياة.

إن غوغول لم يقتل «الارواح الميتة» حين احرق مخطوطته، وإن رائعة فرنهوفر تنعدم وجوداً ، ما ان تلتقي بها انظار الشهود ، بالرغم من جميع الالوان المتراكمة على اللوحة . وفي كل مرة يكشف فيها الخالق عن اثره، يحاول ان يلتقي بالمتفرج المتوهم الذي ينتظر منه هذا الأثر وجوده الكامل . ولكن الأثر لا يطلب من هذا المتفرج نظراً فقط، وانما يطلب منه تكريساً . فالأثر الفني لا يوجد إلا حين يعتبر اثراً فنياً، إلا حين يعتبر خليقاً بان يمثل في « نظام » ما . فالوجود بالنسبة الى الأثر لا يقبل الفصل عن القيمة .

غايتان بيكون

موكب الاطياف

(التتمة من الصفحة ٢٤)

منذ ان يتجسد في أحلام الروائي موجودٌ مع مايسميه برغسون معطيات شخصيته المباشرة. وسرعان ما تتجمد هذه المعطيات؛ والمؤلف وشأنه إن هو أخطأ في طبيعتها الدقيقة الصحيحة : إنه ليضاعف محاولاته ، ولا يُنهي رواية هذا الشخص . فبالامكان اجادة رسم ذاتٍ معينة بهدوء، اقصد اكتشاف فوارق بل حتى مناقضات فيها رويداً رويداً ، في أثناء الكتابة . وقد ينخدع روائي بما يمكن لشخص من أشخاصه أن يفعل، ولكنه لا يمكن ان ينخدع بما هو حقاً .

ذلك هو اليقين الوحيد الذي يتمتع به الروائي : حقيقة مخلوق ، وانه ليهزأ هزؤاً كبيراً بما يقول النقاد عنه إنه الوحيد الذي يستطيع أن يقيس اتفاق مخلوقه مع ذاته (أي ذات المخلوق) . أما كتبه ، فانه لا يعرف عنها شيئاً . سعداء هم الكتّاب البسطاء الذين يظنون ان آثارهم التي يكتبونها أو التي فرغوا منها هي جيدة أو لا بأس بها . وحتى مورياك ، وهو من هو مجداً روائياً ، إذا سئل رأيه في رواياته فأحسب انه غير راض عنها ، مثلنا تماماً . ولكنه سيعترف دون ريب ، مثلنا تماماً ، أنه يحب اشخاصه ، وأنه لا ينساهم ، وانهم يمتون اليه باوثق الصلات وأدقها .

لا ، ان حدود كتاب ما لا تسجن اشخاص الرواية. فهم، بعد ان ينتهي ويُنسى، يخرجون منه موكباً من الاطياف؛ ويظلون عائشين فينا ، كما يظلون في ذاكرة القاريء اذا عرفنا ان نكسبهم الحياة التي ينعمون بها في نفوسنا .